غزوة بَنِي لِحيَانَ

ولما عاد رسول الله ﷺ قافلاً من بني قريظة إلى المدينة، أقام فيها ذا الحجة والمحرَّم وصفراً وشهري ربيع، ثم خرج في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر ـ سنة ست ـ من فتح قريظة، قاصداً إلى بني لِحْيان، يطلب بأصحاب الرجيع: «خُبَيْب بن عديٍّ» وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليأخذ القوم على حين غِرَّة. وقد استعمل على المدينة «ابن أم مكتوم»، كما ذكر ابن هشام.

وسلك رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين على غُراب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام) ثم على (مَحِيص)، ثم على (البتراء) ثم مالَ ذات اليسار، فخرج على (بِين)[1] ـ واد قرب المدينة، ثم على «صُخَيْرات اليمام»، ثم استقام به الطريق على (المَحَجَّة) من طريق مكة، فأَغَذَّ السير سريعاً حتى نزل على (غُرَان)، وهي منازل بني لحِيان، و(غُران) وادٍ بين «أَمجَ» و«عُسْفان» إلى بلد يقال له: (سَاية)، فوجدهم قد حَذِروا وتمنَّعوا في رؤوس الجبال، فلما نزلها رسول الله ﷺ، ولم ينل من غِرَّتهم ما أراد، قال: [لو أنا هبطنا (عُسْفان) لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة]، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل (عُسْفان)، ثم بعث فارسين من أصحابه، حتى بلغا (كُرَاعَ الغَميم) ثم كَرَّا، وراح رسول الله ﷺ قافلاً.

وكان «جابر بن عبد الله» يقول: سمعت رسول الله ﷺ حين وَجَّهَ راجعاً: (آيبون، تائبون، إن شاء الله، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء[2]

---

(١) بِين: بالكسر كما ضبطه ياقوت الحموي في معجمه. وضبطه الزرقاني بالفتح والتحريك.

(٢) وَعْثاء السفر: مشقته وشدته.

السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال).

وقال كعب بن مالك في هذه الغزوة:

لَوَ أنَّ بني لِحْيان كانوا تناظروا[١] لَقُوا عُصَباً في دارهم ذات مَصْدَقِ
لَقوا سَرَعانا[٢] يملأ السَّرب[٣] رَوْعُه أمام طُحون[٤] كالمجرة فَيْلَقِ
ولكنهم كانوا وِباراً[٥] تتبَّعت شعابَ حجازٍ غيرِ ذي مُتَنَفَّقِ[٦]

(١) تناظروا: انتظروا.
(٢) السرعان: أول القوم.
(٣) السَّرب: الطريق.
(٤) الطحون: الكتيبة تطحن كل ما تمر به.
(٥) وِبار: جمع وَبْر: حيوان بحجم الهر.
(٦) غير ذي متنفَّق: ليس له باب يخرج منه.